

الاستثمار الفرنسي للجزائريين

في مهمة اختراق الصحراء الجزائرية خلال القرن التاسع عشر ميلادي

أ. دعاشي سميرة

جامعة سطيف 02

الملخص:

تعد البعثات الكشفية من الوسائل المهمة التي استغلتها فرنسا للتعرف على مجاهل الصحراء الإفريقية وتجارتها خلال القرن التاسع عشر، وحتى تأتي السياسة الفرنسية أكلها، استثمرت في أبناء الوطن الجزائري معرفتهم للمنطقة، فكلفت كل واحد منهم في اتجاه معين، اجتمعت جل مهامهم حول التجارة الصحراوية ومنافذها، فكانت مساهمة هؤلاء الرحالين لا تقل أهمية عن البعثات الفرنسية، حيث ساهموا في اختراق فرنسا للصحراء وتنفيذ سياستها التجارية في إفريقيا عبر الصحراء الجزائرية.

الملخص باللغة الإنجليزية:

The expedition detections are one of the important means used by France to learn about the hideouts of the African Sahara and its trade during the nineteenth century, and until the French policy reached its own, it invested in the Algerian citizens in certain direction, met most of their tasks on the Saharian trade and its ports, the contribution of these travelers are as important as the French expeditions, where they have contributed in penetration of France to the desert and the pursuance of its trade policy in Africa across the Algerian Sahara.

كلمات مفتاحية: رحالين؛ جزائريين؛ فرنسا؛ التجارة الصحراوية؛ الصحراء الجزائرية؛ إفريقيا الغربية.

مقدمة:

تعتبر التجارة العابرة للصحراء الدافع الحقيقي لاحتلال فرنسا للجزائر، باعتبارها جسر يمدّها بباقي مستعمراتها في إفريقيا، ونستشف ذلك من خلال متغيرات الحاجة الاقتصادية لفرنسا وسياستها المنتهجة حيال مستعمراتها، وبعد ممارستها لتجارة الرقيق على سواحل المحيط الأطلسي قرابة قرنين من الزمن، وبتطور الثورة الصناعية، تغيرت مطالب الاقتصاد الأوروبي من اليد العاملة إلى المواد الأولية الزراعية وإلى مراكز لتصريف منتجاتها المصنعة، فكان لتحريم تجارة الرقيق علاقة وثيقة بالسياسة الاقتصادية الجديدة عبر البحار والصحراء الكبرى، وفي ظل المنافسة الشديدة حول التجارة الصحراوية بين بريطانيا وفرنسا، سارعت فرنسا لاحتلال الجزائر، ومن ثمة استغلت كل الوسائل العلمية، الثقافية، السياسية، العسكرية، الاقتصادية وحتى الاجتماعية لبلوغ هدفها المنشود وهو تحقيق حلمها التجاري بين سواحل البحر المتوسط والمحيط الأطلسي عبر الصحراء الجزائرية، فكان الرحالين الجزائريين أحد وسائلها.

حيث عمل الكثير من الجزائريين في خدمة الاستعمار الفرنسي، كجواسيس وعيون لنقل أخبار المناطق التي زاروها للفرنسيين، ليسهل الأمر عليهم دخولها فيما بعد، فجاءت رحلاتهم وفق رغبة وأهداف سلطات الاحتلال الفرنسي. يعتبر ابن الدين الأغواطي أحد الرحالين الجزائريين المستهدفين من قبل أمريكا قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر، وخلال العهد الفرنسي وظّف العديد من الجزائريين في مهمة اختراق الصحراء، والإشكالية

المطروحة هي: طبيعة المهام التي كُلف بها الرحالين الجزائريين وكيف ساهمت هذه البعثات في تبيين معارف فرنسا حول الصحراء وإفريقيا الغربية ونتائجها.
أولاً: الدوافع الحقيقية لاحتلال فرنسا للجزائر.

بالاستناد إلى الترتيب الكرونولوجي للأحداث التاريخية، يجعلنا نقر أن السبب الحقيقي لاحتلال فرنسا للجزائر هو التجارة العابرة للصحراء، فبعد استحالة توغل فرنسا في أقاليم الدولة العثمانية مع بدايات العصر الحديث للمشاركة في التجارة الصحراوية، مالت نحو المحيط الأطلسي لمشاركة الدول الأوروبية في عملية الاستكشاف والاستغلال، فمارست تجارة الرقيق قرابة قرنين من الزمن مع العالم الجديد وأوروبا. لكن مع نهايات القرن الثامن عشر، حدث متغير على مستوى الدول الأوروبية المتمثل في تطور الثورة الصناعية، فتغيرت مطالب الاقتصاد الأوروبي من اليد العاملة إلى منتجات المناخ المداري والصحراوي وإلى مراكز لتصريف منتجاتها المصنعة، فكان لتحريم تجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسي والصحراء الكبرى علاقة وثيقة بالسياسة الاقتصادية الجديدة.

هذه المرة تتزامن الأحداث مع فتور الدولة العثمانية، فكانت المبادرة الأولى لبريطانيا صاحبة القرار الخاص بمحاربة تجارة الرقيق والقرصنة، فكانت لها الشرعية للتدخل في أقاليم الدولة العثمانية الداخلية وهذه المرة عبر سواحل البحر الأبيض المتوسط، بعد أن أقر لها مؤتمر فيينا 1814م حق امتلاكها لجزيرة مالطا لمراقبة نشاط بلدان شمال إفريقيا في مجال القرصنة والاسترقاق.

وهكذا بدأت المنافسة حول مواقع النفوذ الفرنسي- البريطاني في صحراء ليبيا باعتبارها مفتاح التجارة الصحراوية من هذه الجهة، لكن سياسة بريطانيا القائمة على إدارة الصراع الاستعماري ضد فرنسا الصناعية التي كان لها نفس الغرض⁽¹⁾، جعل فرنسا تسارع لاحتلال الجزائر، وما كادت تضع أقدامها في شمال البلاد حتى شكلت لجنة الاستكشاف العلمي بالجزائر عام 1837م من أجل؛ القيام بدراسة التجارة الصحراوية ومنافسة جارتها بريطانيا في التجارة العابرة للصحراء.

فعملت على دراسة تجارة الصحراء لتحويل التجارة من غات وغدامس نحو الجزائر، حيث وضع كاروت (Carette) دراستان بين فيهما الأهمية التجارية للصحراء الجزائرية⁽²⁾. في حين نشر دوماس عام 1845م كتاب بعنوان: "الصحراء الجزائرية"، قدم فيه دراسة حول نسبة تقدم الفرنسيين في تعرفهم على الصحراء خلال ذلك الوقت، كما تحدث عن الجهود المبذولة للحصول على أكبر قدر ممكن من المعلومات حول هذه المناطق الصحراوية قبل التوغل فيها⁽³⁾. كما أكد على أهمية التجارة في الجنوب وأوضح أن بسكرة تعد مركزا تجاريا هاما للتجار العرب الوافدين من بوسعادة، أولاد نايل، تفرت، وادي سوف، ... الخ، لهذا يقتضي توسيع الاحتلال جنوبا لتوسيع تجارتهم إلى دواخل إفريقيا⁽⁴⁾.

فيما بعد أشار فيرو (Feraud) إلى أهمية ورقة التجارة بقوله: «أنه باحتلال ورقة يمكن إقامة إدارة فرنسية قوية أساسها السوق التجارية التي ستكون هامة للأوروبيين والعرب والميزابيين والسود واليهود»⁽⁵⁾.

إضافة إلى الدراسات المقدمة، ظهرت عدة مشاريع بهذا الخصوص، أهمها ما قام به بوديشون (Bodichon) الذي تصور أهمية مشروع الربط بين الجزائر وتبكتو، على اعتبار أن سكان الجنوب بأمس

الحاجة إلى المواد الغذائية التي تأتيهم من الشمال، بالإضافة إلى إمكانية فتح طريق الصحراء، بل وعبورها نحو بلاد السودان وبالتالي استئثار فرنسا على تجارة الصحراء ودواخل إفريقيا، فهي بإمكانها أن تجعل من الموانئ الجزائرية منافذ لتجارة بلاد السودان ومن الواحات مراكز عبور لها، كما يمثل السودان قوة استهلاكية هائلة تقدر بـ 20 مليون نسمة وستصبح سوقا ضخمة للمنتجات الصناعية الفرنسية⁽⁶⁾.

منذ عام 1844 أصدر البرلمان الفرنسي قانونا يقضي بمد منطقة الاحتلال نحو الجنوب والارتكاز حول مراكز المبادلات التجارية بين الشمال والجنوب في كل من سبدو، سعيدة، تيارت وبوغار، كما تم تنويع تلك السنة باحتلال بسكرة التي كانت مفتاح التجارة الصحراوية من الجهة الشرقية⁽⁷⁾.

إن المتتبع لمسار السياسة الفرنسية خلال فترة تواجدها بهذه المناطق، يدرك مدى حرصها على منافسة بريطانيا في مجال التجارة عبر الصحراء الكبرى واعتبرت الصحراء الجزائرية بمثابة حجر الزاوية للتحكم في منافذها التجارية الأفقية والعمودية، ففي سنة 1855م قدمت الجمعية الجغرافية بباريس مبلغا بستة آلاف فرنك، لمن يقوم برحلة من الجزائر إلى السنغال أو بالاتجاه المعاكس، بشرط أن يمر بتبكتو⁽⁸⁾ ويأتي بمعلومات دقيقة حول تنظيم القوافل، طرقها، مواردها الطبيعية ومنتجاتها، أهم المراكز التجارية وسلعها وأسعارها.

ثانيا: الرحالين الجزائريين في مهمات استكشافية للصحراء الجزائرية ومنافذها.

رحلة الحاج عبد القادر أبي بكر التواتي نحو السودان:

في إطار المسح الأنثروبولوجي، الطوبوغرافي والاقتصادي للصحراء خاصة وإفريقيا عامة، قُدمت دراسات عديدة من طرف الفرنسيين حول هذه المناطق أمثال غوتيه والجنرال دوماس وغيرهم، إلا أنه لا تزال هذه المناطق غير معروفة بشكل كبير ولأهمية هذه المناطق في المشاريع الفرنسية أُستدعي الرحالة لتقتر للقاء الفرنسي (Du Coudet) المعروف باسم حجي عبد الحميد باي، الذي طلب منه تدوين أبجدية الطوارق وقائمة بأسماء قادة الأهالي للمناطق الصحراوية كما هو مبين في الشكل رقم 01، كما كلفه الضابط بواسوني (Boissonet) بنفس الطلب، إضافة إلى معلومات أخرى نكتشف حيثياتها من خلال الرحلة.

هذه الرحلة حسب ما ورد في نصها تمت سنة 1266هـ / 1849م، ودونت سنة 1268هـ / 1851م، بدأها صاحبها من مسقط رأسه واتجه نحو تڤرت ومنها نحو قسنطينة، أين قابل بواسوني وأعطاه مبلغ قدره: 500 فرنك كمصاريف الرحلة، من هذه المصاريف اشترى سلعا بقيمة 140 فرنك، ثم عاد إلى بسكرة ومنها سلك طريقه إلى تڤرت وتماسين، أين أجرى اتفاقا مع الشعانبة ليصحبهم إلى ورقلة، لكن عند وصوله إلى مطماط تعرضت القافلة إلى هجوم شنته قبيلة سعيد أولاد عامر، فسلبوا القافلة بالكامل ولم يتركوا لصاحب الرحلة غير قميصه⁽⁹⁾.

عند وصولهم إلى نقوسة، استقبلهم شيخ المدينة وأكرم وفادتهم ومنحهم ثيابا جديدة، من نقوسة توجهت القافلة نحو ورقلة وميزاب ومنها توجهوا إلى متليلي والقليلة⁽¹⁰⁾، ثم اتجهوا نحو الغرب باتجاه تيميمون، وصولا إلى أولف، أين عكف الرحالة على تحرير نص الرحلة⁽¹¹⁾.

يوصل الرحالة طريقه نحو السودان؛ من عين صالح إلى تيط (Tyt)، ثم أولف (Aoulef) وأقبلي (Agably)، الغرابية (Al-ghrabah)، ولان (Ouellen)، أين تحدث الرحالة مع سكان ولان (Ouelen) بشأن الفرنسيين في أمور حكمهم وعدلهم، فتقبل الجميع قدوم الفرنسيين واستقبالهم بالترحاب وحسن المعاملة⁽¹²⁾، هذه المحادثة ما هي إلا محاولة جس النبض لمعرفة موقف هؤلاء من الفرنسيين.

بعدها دخل أراضي تنزروفت واتجه جنوباً نحو بير امغان (Byr-Emghanan)، بير تانتينة (Byr-Tantynah)، ثم يأتي بلاد الطوارق من جهة اليسار، حيث وصلوا إلى دشرة تسمى المبروك (El-Mabrouk)، أبو عجابية (Abou-Adjebêat) التي يسكنها البرابيش (Berabiche) وكنتة (Kontah)⁽¹³⁾ ومنها نحو تنبكتو⁽¹⁴⁾، سانساندي (Sansandé)، سيغو (Schégou) وجني (Djenné)⁽¹⁵⁾.

رغم ما قاله الرحالة حول تكليفه بمهمة جمع المعلومات حول قادة القبائل وموافاتهم لأبجدية الطوارق، إلا أن الرحلة عالجت أيضاً الجانب الجغرافي والاقتصادي وهذا دليل على اهتمام الفرنسيين بهذا المجال، وهكذا زودتنا الرحلة بمعلومات هامة حول قادة أهالي الصحراء والمسالك الصحراوية وقدم لنا الرحالة وصفا لطبيعة الأراضي التي مر بها ومواردها الاقتصادية بأسمائها المحلية.

بالنسبة لأهالي الصحراء أتى على ذكر اسم حاكم نقوسة الشيخ أحمد بن انبابي، وقادة أولف وشرفائها، كما ذكر أعيان عين صالح ومن بينهم الحاج محمد بن الحاج أحمد المختار، والحاج أحمد الحبيب بن الحاج السوغي¹⁶، وأتى على ذكر السلطان الحاكم للأراضي الممتدة من جني إلى سيغو ببلاد السودان واسمه آن نابيغر آق كعو إيغري آق، وغيرها من الأسماء التي لا يتسع المجال لذكرها كلها⁽¹⁷⁾.

بالنسبة للجانب الطبيعي يذكر صاحب الرحلة عدداً من منابع المياه التي مر بها، حيث أشار إلى منابع المياه الوفيرة بورقلة وهي مدفونة بالرمال، إذ لا تظهر في الغالب إلا في أماكن محدودة، ففي طريقه إلى القليعة رأى بئر الزرار وماؤها عذب، أما في السودان فقد صادف بئرين هما بير امغان (Byr-Emghanan) وبئر تانتينة (Byr-Tantynah)، كما تفيدنا الرحلة بوجود بحيرة عميقة ماءها مالح وبها أسماك، هذه البحيرة تقع جنوب تماسين بورقلة، وتوجد بحيرة أخرى بين تقرت وتماسين، لكنها أقل ملوحة يعيش فيها الإوز.

أشار الرحالة إلى مجموع الوديان التي تسقي منطقة توات، وأهمها وادي إيتل (Oued Itel)، الذي يجري باتجاه الشرق والغرب وعند الابتعاد عن حواف هذا الوادي نجد ريو تسمى القعدة (Al-Kâadah)، هي غير بعيدة عن وادي الأبيض (L'OUED-Abiadh) ووادي لوبيباد (l'Oued-Loubibed)، وادي الطلح (Oued-et-Talh)، مياه هذه الأودية لا تجري بشكل ظاهري، لكن يكفي أن نحفر قليلاً في الرمال حتى نجد مياهها⁽¹⁸⁾.

يذكر الرحالة كذلك أسماء النباتات والأشجار التي تنمو بالمناطق التي زارها، والملفت للنظر أنه يقدمها لنا بلغات تلك المناطق ومنافعها الطبية وأماكن تواجدها، فعن الأشجار التي تنتج الصمغ العربي فهي تنمو في غابات تنبكتو، سكانها يسمونها فريفايا (Fringaia)، الشجرة التي تنتج بخاراً سودانياً يسمونها داشي (Dâschi) ويمنحون للراتينج اسم شجرة ثوراري يالباركة (Thourâry-Yalbarcah)، الشجرة التي تنتج اللبان يسمونها

هانو (Hanou) ، الشجرة التي تنتج راتنج شبيه بصمغ جاوة يسمونها حاثولي (Hatholy)، شجرة اللبان الأسود تسمى ميداشي (Medâschy) ، حيث تستعمل ثمارها لصناعة زيت يُلين البشرة ويحارب جرب الأبقار والجمال.

كما تنمو بها شجرة تسمى كوكة (Kouka) ، ثمارها بحجم البطيخ الأصفر لحاؤها صلب مثل لحاء اليقطينة، عندما تكسر نجد بداخلها مادة طحينية، يقومون بنقع هذه المادة في الماء فيصبح الماء حامضاً، أما أوراقها فإنها تطهى وتؤكل مثل الملوخية، كما أن هناك شجرة تسمى تفوشية (Tefouchia) وشجرة كينبا (Kinba) ، مذاق فاكهتها كالفلل (البهار) ⁽¹⁹⁾.

عن النباتات التي تنمو في ورقلة هي: (l'Alenda) ، البلبال (le belbâl) ، الضمران (le dhemran) ، الدرين (le deryn) ، وعن نباتات وأشجار تكثر وتماسين هي نفسها أشجار ورقلة .

في توات تنمو نباتات الأودن (le ouden) ، الطلح (le talh) ، الثمات (le themat)، الأتلو (l'étel) ، الرتم (le retém)، أبو رشاح (l'abou recbah) ، الحنظل والدرين يوجد في الأودية والأماكن الرطبة والأماكن التي تغطيها الرمال وفي السبخات، وعن الأشجار بالمنطقة فهي (l'Azal)، (L'Alenda) والطارفة، عندما تكثر الأمطار في فصل الربيع ينبت الحنظل، الفول، القلقلان (Kolkolan) والبتين (Bétyn) ⁽²⁰⁾.

كما يحدد صاحب الرحلة المسافات بين المناطق بمسيرة الأيام، حيث يقدر المسافة بين متليي وميزاب بنصف يوم من المسير، من متليي إلى القليعة خمسة أيام ⁽²¹⁾، من تنبكتو إلى سانساندي عبر البر تقدر بثمانية أيام، للذهاب من سانساندي إلى سيغو مسافة يوم برّاً، كما لا يوجد نهر للملاحة بين سانساندي و تنبكتو، أما بلوغ جني يستوجب عبور النهر، نفس الشيء بالنسبة لمدينة هانباري (Hanbaré) .

كما يفيدنا الرحالة في الجانب الاقتصادي بوجود بعض الثروات المعدنية الموجودة بالمناطق التي عبرها، حيث ذكر حجر القط، الطلق، البلور، الرخام الأخضر، الأحمر، الأسود، حجر الشب، الكبريت النطرون والملح، أما الأحجار الكريمة فقد أحصى خمسة وعشرين نوعاً، كما فصل في هذه الأنواع مثل الياقوت وأنواعه ؛ الأحمر، البنفسجي، الزيتي، السماوي، الأبيض، الأخضر، الزمرد والعقيق، وهناك نوعان من الماس الأبيض والأزرق.

عن الأحجار الأكثر قيمة هناك الياقوت ثم الأحجار الكريمة ثم الماس وعين القط (اللّيّاع)، وهذا حسب تقييم التجار ⁽²²⁾. فيما يتعلق بمناجم الذهب فإنه يوجد في سيغو (Schegou)، كركاري (Kerkâry)، ملي (Melly)، غرانات (Ghranât) وبيتا (Bitta) ⁽²³⁾.

عن منتجات السودان هناك جلود الأبقار التي يسميها العرب آقلايو (Aghlabou)، فتدبغ من طرف الزنوج وتسمى في تنبكتو ياتا (Yâta)، كما أن خشب الأشجار السالف ذكرها يصنع منها الأقداح والطاسات والكتان الأسود يصنع منه لباس يسمى لاغوبو (Laghrbou) ، الجبة العربية تسمى تارقيدي (Targûidy) ، السروال يسمى إكرابي (Ekraby) بلغة الطوارق وآنو (Andou) بلغة آفناوي (Afnâouy) .

بالإضافة إلى ذكر المعادن وبعض المنتجات، أشار الرحالة إلى أهم الأسواق المنتشرة في توات، أهمها تيميمون التي يرتادها رجال حميان الشراقة، أولاد زياد، الدراق، زراين، الظراف، الغياشر، ذوو أولاد سي

الشيخ والشعانية ، في الجهة الغربية هناك سوق تيمي الذي يؤم أسواقه الفلان وأهل الغراب (غرب إفريقيا)، كما يرتاد سوق تمنطيط أهل ساهل، العرب، البدو، الجكانة، أولاد الحاج وسكان سوف⁽²⁴⁾. من خلال ما تم عرضه يبدو أن صاحب الرحلة كان على اطلاع بأمور الصحراء، وعارفا لبعض اللغات واللهجات الصحراوية والإفريقية، الأمر الذي أكسب رحلته أهمية كبيرة، كما نوه بذلك القس بارجيس الذي قال إنها عمل مفيد ونافع للتعرف على أحوال الصحراء الجزائرية وإفريقيا الغربية حول جوانب سياسية، تاريخية، اقتصادية وجغرافية.

نستنتج مما سبق أن معلومات الرحلة جاءت غزيرة في الجانب الاقتصادي ، الأمر الذي يوضح لنا تكليف الضابط بواسوني وبالتالي هدف الرحلة كان إفادة السلطات الفرنسية بأبجدية الطوارق وقائمة بأسماء قادة الصحراء من أجل إقامة علاقات معهم، كما أن التعرف على مواردها الاقتصادية بأسمائها المحلية، كان بمثابة إحصاء وتنقيب على ما تتوفر عليه هذه المناطق للسيطرة على منتجاتها والتجارة الفرنسية في هذه المناطق.

رحلة إسماعيل بوضربة إلى غات:

بعد العمل الكشفى الذي قام به الرحالة بونمان في غدامس ، توصل إلى نتيجة مفادها أن غات هي المحور الأساسي للتجارة وليس غدامس، هذه الأخيرة ليست سوى محطة تخزين بين شمال إفريقيا ووسطها وأن غات هو أكبر أسواق السودان يدوم لمدة أربعين يوما ، أين يتم إيداع جميع منتجات قوافل الشمال والجنوب⁽²⁵⁾، الأمر الذي جعل فرنسا ترسل إسماعيل بوضربة⁽²⁶⁾ إلى غات وبعده دوفيريه.

لكون الرحالة من أصول جزائرية؛ فقد استغلت فرنسا هذه الميزة فقام المارشال راندون بتكليفه عام 1858م بمهمة استكشافية من الأغواط إلى غات، لاكتشاف شمال أزجر والوصول إلى غات، لاختبار زعمائهم في موضوع تسهيل ربط علاقات تجارية بين غات والجزائر⁽²⁷⁾.

هذه الرحلة تمت في غضون أربعة أشهر، من الفاتح أوت 1858م، إلى غاية الفاتح من ديسمبر 1858م، ابتدأت الرحلة من الأغواط أين كان بوضربة مترجما عسكريا لدى المكتب العربي ، حيث توجه إلى تقرت للقاء الشيخ عثمان الذي كان دليل القافلة.

توجهت القافلة نحو نقوسة (Negouça)⁽²⁸⁾ ومنها إلى الرويسات (Rouissat) الواقعة غرب ورقلة مروراً بسلوسل زنون (Slossel Dzanoun)، سلوسل أزال (Slossel Azâl) ، حتى بلغوا منطقة واسعة من الكثبان الرملية تسمى ألوج (El-Oudje)⁽²⁹⁾؛ تمتد من نفزة بتونس إلى القليعة، حتى وصلوا إلى عين طيبة التي تقع جنوب جريبع على بعد حوالي 112 كلم ومنها إلى البيوض .

بعدها سلكوا طريق جنوب جنوب شرق نحو شعبة البيوض⁽³⁰⁾ وتماسنين وهي نقطة التقاء كل القوافل التي تأتي من غدامس وتوات نحو غات ومنها إلى الطير (Tir)، خنفوسة، توسكرين (Touskirine) التي تشكل طرفا كبيرا من هضبة أزجار ومنها مالوا نحو تابلالت⁽³¹⁾، عين الحجاج ثم وادي تاجران (Oued Tadjeran) في الاتجاه الجنوبي الشرقي.

من وادي تيجوجل (Oued Tidjoujelt) ووادي إيليزي (Oued Ilizi) وصلوا إلى عقلة سيدي علي النحوي (Aglet-Sidi-Aly-Elnahoui) الواقعة في وادي إليزي، ثم وادي تاخمال (Oued Takhmalet) ومنها نحو وادي تارات (OuedTarat)، إداريت إيتيجرن (Idarit Itedjeren)، وادي تيخسين (Oued Tikhessin)، مسيكة (Msika) وقصر لجنون (Ksar-el-djenoun) وهو جزء من سلسلة صخور متوازية لجبال تمر إلى جنوب غات، وفي يوم 26 سبتمبر تم الوصول إلى نقطة الهدف وهي غات⁽³²⁾.

عند وصول الرحالة إلى غات؛ لاحظ نفورا من قبل أناسها لأنهم أقسموا على عدم دخولهم المدينة، فتم غلق الأبواب وسد كل الثغرات، لكن ايخونون ذكر للطوارق بأنه مسلم، فتم استقبالهم بعد ذلك⁽³³⁾؛ وسبب هذا التوتر أن رسائل وصلت من مرزق تذكر بأن: «الفرنسيين يرغبون في الاستيلاء على غات، احذروا من سي عثمان لقد باع نفسه للفرنسيين وإذا أتوا للهجوم عليكم أخبرونا حتى نأتي لإنقاذكم»⁽³⁴⁾.

بعد أن اجتمع الرحالة مع اخنوخ، قام بسرد رسالته التي أتى لتبليغها، فذكر أن فرنسا ترغب في التعرف على نسبة الأمن والأهمية التجارية للمنطقة، قبل أن تستثمر أموالها في هذا الطريق، مضيفاً أن فرنسا في نيته تسهيل التجارة بين مفوضي الجزائر، غدامس، غات وبلدان أخرى وليس غرضها التدخل في شؤونهم الداخلية واحتكار التجارة للاستحواذ على الأرباح حسب الأقاويل المنتشرة هناك، وأنهم سوف يستفيدون من علاقاتهم مع فرنسا وجمالهم المستعملة في النقل، سوف توفر لهم ضعف ما توفره حالياً دون احتساب الحبوب، الزبدة، القماش من كل الأنواع والقطع النقدية، كما حثه على أن هذه المزايا كلها يحاول البعض حرمانكم منها تحت ذريعة الدين وهذا لتلبية مصالحهم الخاصة⁽³⁵⁾.

بعد المناقشة التي دارت بينهما استحسن ايخونون فكرة توسيع علاقاته مع مراكز إفريقيا، لأن أرباحه ستزيد حسب عدد القوافل التي تعبر بلاده، هذه الخطابات تركت انطبعا حسنا لدى شعب الطوارق، حيث رغبوا في إقامة علاقات مع الجزائر الفرنسية.

خلال الجولات التفقدية التي قام بها الرحالة لمعاينة سوق غات، لاحظ رواج السلع الانجليزية، مع العلم أن ما وصلت إليه انجلترا استغرق وقتاً طويلاً؛ فقبل تصريف منتجاتها عبر طرابلس حاولت معرفة من يحمل بضائعها عبر هذه الطرق إلى وسط إفريقيا، فوقع اختيارها على تجار غدامس، مع استقرار بعض الإنجليز هناك لتصريف منتجاتهم، بهذا الصدد يؤكد الرحالة أن تجارة وسط إفريقيا حقيقة وأن الإنجليز هم الذين يحتكرونها، فمنتجاتهم تصل إلى هذه البقاع عبر غينيا، سينغامبيا (Sénégambe)، المغرب، طرابلس ومصر.

هنا تبادر إلى ذهن الرحالة تطبيق الفرنسيين فكرة الإنجليز ومشروعهم، فرأى أن قبيلتي الشعانبة وسوف، يؤدون نفس الدور الذي أداه الغدامسيون، فهم يتحملون متاعب الرحلة والفرنسيون يجنون المال والأرباح ويتم تقاسمها بنسبة تتراوح ما بين 30 إلى 40 %، بعد التعرف على بضائعهم في غدامس قد يأتون للبحث عنها عندهم في الجزائر، وبالتالي يجب أن يكون لتجارهم ممثلها في ميزاب وورقلة⁽³⁶⁾، الأمر الذي يفسر لنا معاهدة الحماية مع بني ميزاب وكذا الاهتمام الفرنسي بورقلة من خلال المذكرة المسلمة للجنة الجغرافيا من طرف السيد دولاسب (De Lesseps) يخبر السيد دوفيري ما يلي: «إن إنشاء خط سكة حديدية من الجزائر

إلى ورقلة لشيء ممتاز تقوم به فرنسا، لقد كانت ورقلة منذ مائتي أو ثلاثمائة سنة المستودع الكبير للبضائع ونتيجة لأحداث سياسية تحول تجار قوافل الهاوسا وتبكتو باتجاه طرابلس وطنجة، لكن اليوم لا يمكن أن تؤثر في ازدهار ورقلة (37)».

لذلك جاءت رحلته غنية في جانبها التجاري والجغرافي، حيث يصف لنا الرحالة الصحراء؛ على قدر امتدادها وجفافها، إلا أنها ليست أكثر بشاعة مما نتوقع، تقريبا في كل مكان يوجد الماء، فقط يكفي الحفر على عمق صغير لإيجاده، حتى في مناطق القاسي يمكن الحصول عليه على عمق 15 أو 16 مترا (38) وهو الأمر الذي أكدته البكري في القرن الحادي عشر ميلادي وفلاترز في ثمانينات القرن التاسع عشر.

لقد أفادنا الرحالة بمصادر المياه الموجودة عبر الطريق الذي سلكه، فمثلا بغرب نقوسة بها ثلاثة وثلاثون بئرا ارتوازيا، أقدمها بئر ترمونات (Termounet) وفي الجزء الجنوبي عدد كبير من الآبار التي عمقها المتوسط يبلغ خمسة متر (39).

في طريق وادي تارات (Oued Tarat)، هناك بئران تسميان تانيت ملت (Tanit Melet) واقعتان على سفوح سلسلة صغيرة من الكثبان مياههما مالحة وعمقها 3 أمتار وهي على مستوى 1,5 متر حرارتها 23° وحرارة الهواء 29° (40)، وتعتبر بئر مجير (Medjir) مأوى للقوافل القادمة من ورقلة، مياهها جد غزيرة وجل المناطق المجاورة لها غنية بمراعي الجمال (41).

كما تحدث الرحالة عن الجانب الجيولوجي للمناطق التي عبرها، فمثلا منطقة ألوج (El-oudje) التي تمتد من نفزة (Nefza) إلى القليعة (Guiléa)؛ هي عبارة عن سلسلة من الكثبان الرملية يبلغ ارتفاعها أحيانا من 50 إلى 100 متر وهي تشكل تتابع لسلاسل متوازية، في الجزء الجنوبي تتحول هذه السلاسل الكثبية إلى أودية يتسع عرضها من 7 إلى 8 كلم، تسمى القاسي (El-Gassi)، من بين الوديان التي تعبر هذه المنطقة وادي المية (Oued-Elmia) من الجهة الغربية، حيث ينبع بالقرب من توات ويتجه نحو ورقلة، من الجهة الشرقية نجد وادي لسود (Oued-Essoued) الذي يعتبر استمرار لوادي رير (Oued-R'ir)، ينبع من جبل الأهفار ويستقبل مياه الجانب الغربي لهضبة أزجار (Azeguer) ومياه الجانب الشرقي لهضبة لمويدر (El-Moindyr).

مصدر مياه وادي رير باطنية قادمة من الهضاب الشمالية والهضاب الجنوبية، حيث يوجد منحدران يربط بينهما؛ واحد يصعد إلى الشمال والثاني ينزل إلى الجنوب، هذا الأخير لا يتوقف إلا في الجبال الموجودة جنوب غات (42)، كما أن نهر إيغارغار (Vallée d'Ir'er'aren) يمتد إلى غاية غات (R'at).

بوادي تاخمال (Oued-Takhmalet)؛ يوجد مصدر مائي يسمى تاجنوت (Tadjenout) يبلغ ارتفاعه أربعة أمتار (43)، كما أن بمنطقة عين الحجاج (Aïn-el-Hadjadje) أودية منها وادي تاجران (Oued-Tadgeran)، وادي أيتزونت (Oued-Aitzoniten)، السمان (Saman) وإنلال (Inalal) (44).

بالنسبة للطريق الواقعة بين البيوض وتماسنين خالية من الماء (45)، إلا أن المنطقة الواقعة بين توسكرين وغات بها مياه تنحدر من سفوح سلسلة هضاب الأزجار، حيث يوجد منبع صغير عمقه 1,5 متر ومياهه

قليلة الغزارة تطفو على نحو 50 سم من مستوى سطح الأرض، كما يوجد ينبوعان يسميان تانفوخ (Tanefokh) وكينووين (kinouin) (46).

أما عن الجانب التجاري فقد جاءت معلوماته غزيرة حول تجارة غات والقوافل التجارية التي تصلها، فأعطى لنا صورة وافية حول هذه النقاط خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر؛ إذ تعتبر غات مركزاً تجارياً تصله القوافل من كل الجهات؛ من غدامس، فزان، مصر، البورنو، الهاوسا والجزائر، كما تشهد غات تنوعاً في السلع والبضائع التي تحمل إليها من هنا وهناك، حيث تصل إلى أكثر من 6.000 حمولة من كل الأنواع؛ حرير متنوع، قماش من الصوف، ورق، نحاس، مسك، حياك، شواشي، أسلحة من كل الأنواع، بنادق، مسدسات، حديد، سكر، قهوة، أحزمة من الصوف والحرير، معظم هذه البضائع هي منتجات انجليزية.

إضافة إلى السلع السالفة الذكر، فإن تجارة الرقيق لم تتوقف حتى ذلك الوقت، فحسب أقوال التجار أن غات كان يصلها من ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف عبيد، سعرهم في السوق ارتفع ثمنه ليصل إلى 250 و300 فرنك، بينما كان في السابق من 100 إلى 150 فرنك، فحسب تصريح أحد تجار تنبكتو؛ أن تجارة العبيد تعد أساس تجارة إفريقيا الوسطى وتجار القوافل الذين يعبرون غات (47).

كما زودتنا هذه الرحلة بمعلومات حول وسائل التبادل التجاري مثل وسائل الدفع التي تتداول في غات كالنقود المصرية، التركية، التونسية، الدورو الأسباني والفرنك، حيث يتم الحساب بالريال التونسي الذي يحمل اسم سبيلي (Sbili) ويقدر بـ 90 سنتيم وقطعة 5 فرنك تسمى (Cinquo) (48)، كما زودتنا بأسعار بعض السلع بغات والجزائر والأرياح التي يجنيها التجار من هذا السوق.

من النتائج التي توصلت إليها فرنسا من خلال هذه الرحلة؛ معرفة مدى أهمية التجارة الإنجليزية بهذه المنطقة، وفي ظل التنافس التجاري بينهما سعت فرنسا لانتهاج سياسة بريطانية لجلب التجارة الصحراوية عبر الجزائر بدل الجنوب الليبي، فكان لها ما أرادت مع بدايات القرن العشرين.

لكون الطوارق يتوزعون بالصحراء الوسطى فهم الذين يتحكمون في منافذ عبور الصحراء، عاودت الرحلة من طرف الفرنسي دوفيرييه وذلك للتأكد من رد فعل الطوارق تجاه الفرنسيين من أجل ربط علاقات تجارية بين فرنسا والطوارق، النتيجة كانت تهيئة الأرضية لإبرام معاهدة غدامس التجارية، بعدها أثمرت هاتان الرحلتان من طرف فلاترز لرسم خطوط السكك الحديدية عبر منطقة الأهقار.

رحلة الحاج البشير إلى تافيلالت:

جاءت رحلة الحاج البشير استجابة للوضع الخطير الذي كان يهدد فرنسا في الصحراء، بعد قيام أولاد سيدي الشيخ بثورة ضدهم بعد أن كانوا في خدمة فرنسا، ولأن هؤلاء كانوا يجمعون بين القيادة الروحية والدينية ولهم معرفة بالطرق التجارية مع المغرب وإفريقيا من جهة والطرق الصوفية مثل البكاية والقادرية في كنتة وتنبتكو (49)، لذا حاولت إبعاد خطر هؤلاء فبعثت أحد عملائها الجزائريين الحاج البشير (50) إلى تافيلالت.

حيث انطلق من الزهرة رفقة تاجر تافيلالت الذين أتوا إلى تلمسان وتوجه إلى الرحمة التي كان يخيم فيها سي أحمد بن حمزة (51)، فأخبره بأن يتصرف بحكمة ويذهب إلى وهران ليطلب العفو من الفرنسيين باسم كل

المنشقين، فطلب سي أحمد نصح الرحالة باعتباره صديق العائلة، لأنه تعب من تلك الحياة منذ أن فسخ أخوه سليمان علاقته مع الفرنسيين، فطلب منه الرحالة الدخول في طاعة فرنسا .

هنا رد عليه أحمد بن حمزة أن عليه مشورة عمه سي لعلا في توات، فأمره بقيادة قافلة إلى توات متكونة من أربعة عشرة جملا منها ما هو محمل بالأسلحة ومنها ما حمل بالكتب وأخرى تحمل صناديق مملئة بالنقود وعند وصوله إلى قبيلة لخنافسة تم تسليم الصناديق لسيدي عبد الحاكم وأعطاه في المقابل وصلا⁽⁵²⁾.

عند ذهاب الرحالة عند أقاربه في وادي الرطب ينتظر قدوم سي لعلا هوجمت القرية، بطلب من سي أحمد بن حمزة الذي غير رأيه بعد أن كشف حقيقة الرحالة، فطلبوا تسليم الرحالة الذي نجا بأعجوبة رغم المخاطر التي تعرض لها طوال طريق الفرار إلى أن وصل قرية الزهرة⁽⁵³⁾.

4. رحلة الشيخ سيدي محمد الطيب بن ابراهيم من ورقلة إلى غدامس وغات:

وقعت المخطوطة بين يدي السيد جورج باري (Georges Barry) في طريق عودته من غات، حيث سلمه إياها نائب الطريقة القادرية الشيخ محمد الكبير بن ابراهيم من زاوية نفطة، وهو شقيق صاحب الرحلة سي الطيب الذي قتل في معركة على الحدود المغربية. وقد أشاد بها السيد باري و قال بأنها عمل مفيد تحمل معلومات قيمة حول هذا الطريق الصحراوي الصعب، وما ذكر فيها من نقوش ليبية و آثار للوجود الروماني على طول الطريق المتبعة في الرحلة.

خلال تفحصنا لمضمون الرحلة لاحظنا أن الرحالة قام بوصف شامل لطبيعة الأرض التي مر بها من ورقلة إلى غاية غدامس وغات، فذكر أسماء تلك الأماكن وطبيعتها التضاريسية التي تنوعت بين الكثبان الرملية (collines des sables)، تلال الغرانيت (collines de granit) والحجارة.

فالتريق التي سلكها من ورقلة إلى غاية حاسي مولاي (Hassi Maoulai) عبر حاسي القنامي (Hassi Ganami)، حاسي أولاد صالح (Hassi Ouled Salah)، حاسي الداوي (Hassi Edéoui)، حاسي لخضر (Hassi Lakdar)، غارة الذياب (Garet ed-Diab)، كانت كلها كثبان رملية وبعدها تبدأ تلال الغرانيت غرب حاسي مولاي حتى غدامس.

أما الطريق الذي يربط بين غدامس وغات تقريبا كلها صخرية مع وجود أشجار الطارفة (Tarfes)، الآثر (Artheur)، الدرين (Drin) والدمران (Doumrane)، في منطقة الأهفار بواد طاغات وواد تنسبوتين هناك أشجار الطلح و الكرنكا (Crenka) المثمرة⁽⁵⁴⁾.

كما تحدث عن مواقع الماء و الآبار، حيث أتى على ذكر منبع مائي يسميه الأهالي طابية تحفه أشجار النخيل⁽⁵⁵⁾، كما توجد بئر في تكمالين (Tékamaline) والمنطقة موشاة بغابة صغيرة من البتيل، الدرين، إضافة إلى نباتات تسمى تلاقودة (Télagouda) التي تعد ذات قيمة غذائية هامة عند الطوارق، وذلك بعد أن تخضع جذوره للطهي، كما توجد بواد زكراه (Zekrahe) بئر رحيان (Régiane) التي غرست ضواحيه نباتات الإيتل الأثر (Lethle de l'artha) والقسال (Gassal)⁽⁵⁶⁾.

إلى جانب التضاريس و موارد الماء، تطرق الرحالة إلى ذكر بعض الآثار والنقوش التي شاهدها في طريقه، فعند وصولهم إلى مكان يسمى تراريت (Trarit) شاهد الرحالة في اتجاه الشرق قبر طوله ثلاثة أمتار

وخمسون سنتيما، يعود لزمان الرومان كما شاهد من بعيد تلال الغرانيث وهي عالية وكثيرة تبدو وكأنها آثار لمدينة تهدمت تحمل أعمدها نقوشا حسب الشكل رقم 02.

يبدو أن هذه الآثار قريبة من تماسنين التي تظللها أشجار اللاتيل، وفي واد تيكوبا (Oued Tikiuba) عثر على خزان مائي عمقه مترا واحد وقربه نصب مشكل من ثلاث أعمدة من الغرانيث الأملس بعلو قدره ثلاثة أمتار وخمسين سنتيما وعرضه عشرة أمتار، هذا النصب شبيه بمائدة بثلاث أرجل، هذه الأعمدة الثلاث بها نقوش حسب الشكل رقم 03.

غير أن المتأمل في هذه الرموز توحى لنا أنها خاصة بأبجدية الطوارق كما هي مدونة في الوثيقة التي أفادنا بها الحاج عبد القادر أبي بكر التواتي، ولهذا فالمرجح أن الرحالة قد يكون يجهل أبجدية الطوارق وأن تلك الآثار تعود للطوارق وليس للرومان.

وفي الأخير يصف لنا الرحالة كل من غات وغدامس فقال عن غدامس : بأنها مدينة كبيرة جدا يتم الدخول إليها من سبعة أبواب وعند دخوله من الباب الغربي شاهد تماثيل تعود لعهد الرومان يسميها أهل غدامس الأصنام⁽⁵⁷⁾. كما تطرق إلى ذكر موقع وحدود غات فقال عنها: تقع شرق طريق غدامس في سهل رملي يحيط بها أشجار النخيل و الكرنكاس (Crenkas) وفي وسطها العديد من منابع الماء العذب.

يحدها من الجنوب على بعد كيلومتر واحد قرية كبيرة تسمى البركات، ومن الغرب على مسافة قريبة من غات توجد بلدة توين (Touine) وعلى بعد كيلومتر واحد من نفس الاتجاه نجد ديجان (Dijane) ، بين غات وتوين توجد بلدة صغيرة يعسكر فيها جنود الأتراك يقودهم ضابط، من غات حتى السودان هناك ثمانية مراحل وتُعد كوردان (Cordane) أول مدينة سودانية.

أما سكان غات كانوا ثلاثمائة ساكن من الطوارق، ينتمون إلى قبائل مختلفة و ذكر منهم جواد (Jouad) ، مقاطا (M'gata) وعبيد (Abid) ، ويسمى قادة الطوارق قيدازن مذكو بن عوكة واوونرايد (Guédazèn, Mekdou ben Aouka et Oufraid)⁽⁵⁸⁾. هذه الخصائص التي عرضها الرحالة كانت محل اهتمام فرنسا، فقام السيد باري بترجمتها ترجمة وفيّة استفادت منها فرنسا في التعرف على الطبيعة الجغرافية و التضاريسية و التركيبية السكانية لهذه المناطق.

خاتمة:

إن المتغيرات التي طرأت على مستوى الدول الأوروبية مع نهايات القرن الثامن عشر، المتمثلة في انتشار الثورة الصناعية فرض عليها انتهاج سياسة اقتصادية جديدة في إفريقيا؛ مفادها البحث عن منتجات المناخ المداري والصحراوي بدل تجارة الرقيق، لما كانت الصحراء الكبرى ضمن المشروع الاقتصادي الأوروبي سارعت فرنسا لاحتلال الجزائر، لمنافسة مثيلتها بريطانيا في ليبيا، فكانت الصحراء الجزائرية نقطة الارتكاز التجاري لفرنسا في إفريقيا باعتبارها الشريان الذي يربطها بمستعمراتها، الأمر الذي يفسر لنا تدافع مختلف الوسائل العلمية، السياسية، الثقافية والعسكرية في سبيل تحقيق حلمها التجاري من البحر المتوسط إلى المحيط الأطلسي عبر الصحراء الجزائرية.

تعتبر البعثات الكشفية أحد الوسائل الناجعة التي وضفتها فرنسا وأنت بنتائج قيمة سهلت عليها مهمة اختراق الصحراء، كما ساعدتها على معرفة منافسيها وسبل تحويل التجارة لصالحها، بالإضافة إلى البعثات الفرنسية أقممت أبناء الجزائر في المهمة، فاستثمرت فيهم لغة البلد ومعرفتهم لخبايا الصحراء، فجاءت مهماتهم متنوعة ما بين الكشف الجغرافي والاقتصادي ومعرفة التشكيل السياسي والقبلي لهذه المناطق، كما وظفتهم في استمالة أبناء الصحراء، فكان لها ما أرادت مع بدايات القرن العشرين بعدما أحكمت السيطرة على ضفتي الصحراء، أين مزجت بين التجارة البرية والبحرية والجوية في شمال غربي إفريقيا.

ملاحق:

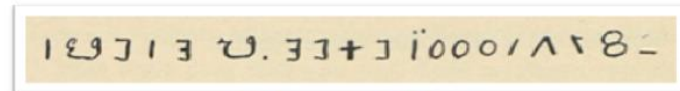
الشكل رقم 01: أبجدية الطوارق التي دونها الحاج عبد القادر أبي بكر التواتي.

Prononciation	Arabe	Tifingeg	Français
Eluf	ا	ⵏ	A.
Bè	ب	ⵢ	B.
Tè	ت	ⵜ	T.
Thè	ث	ⵝ	Th.
Djenn	ج	ⵢ	Dj.
Elha	ح	ⵇ	Hh.
Kha	خ	ⵅ	Kh.
Dal	د	ⵢ	D.
Dhol	ذ	ⵏ	Dh.
Rè	ر	ⵔ	R.
Zè	ز	ⵝ	Z.
Tla	ل	ⵟ	Tl.
Zha	ز	ⵝ	Zh.
Kef	ك	ⵏ	K.
Lam	ل	ⵟ	L.
Mim	م	ⵎ	M.
Noum	ن	ⵏ	N.
Saad	س	ⵝ	Ss.
Dalad	د	ⵢ	Da.
Alm	ا	ⵏ	V.
Chraïn	ح	ⵇ	Gha.
Fè	ف	ⵇ	F.
Qaf	ق	ⵇ	Q.
Sin	س	ⵝ	S.
Chin	ش	ⵝ	Ch.
Hè	ه	ⵇ	H.
Wrou	و	ⵇ	W.
Lam-élf	ل	ⵟ	La.
Yè	ي	ⵇ	Y.

أبجدية الطوارق التي دونها الحاج عبد القادر أبي بكر التواتي

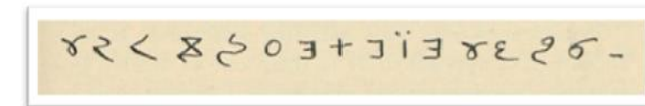
المصدر المعتقد: abbé Barges, Le Sahara et le Soudan, p 7.

الشكل رقم 02: آثار نقوش على تلال الغرانيث بتراريت قرب تماسنين.



المصدر المعتقد: Georges Barry, voyage du Chikh Sidi Mohamed Taieb ben Brahim ... p 261

الشكل رقم 03: آثار نقوش على تلال الغرانيث بتراريت قرب تماسنين.



المصدر المعتقد: Barry, voyage du Chikh Sidi Mohamed Taieb ben Brahim ... p 261

الهوامش:

- (1). جاسم محمد شطب العبيدي، "التجارة الصحراوية الإفريقية والمسألة الشرقية في القرن التاسع عشر ومطلع العشرين"، مجلة كربلاء العلمية، المجلد السابع، ع 4، 2011، ص 56-57.
- (2). E. Carette, Recherches sur la géographie et le commerce de l'Algérie Méridionale, T.8, Imp. Royole, Paris, 1844, p 159-161.
- (3). Daumas, le Sahara Algérien (études, géographiques, statistiques et historiques sur la région au sud des établissements français en Algérie), S.M.E, Paris, 1845, p 6 .
- (4). Broc Numa, « les Français face à l'inconnue Saharienne (géographes, explorateurs, ingénieurs 1830-1881) », Annales de géographie , T.96, N°.535, 1987, p 304.
- (5). Daumas, Op.cit, p 9 .
- (6). جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر، الجزائر، 1994، ص 141-142.
- (7). نفسه، ص 140.
- (8). نفسه، ص 85، 86.
- (9). L'abbé Barges, Le Sahara et le Soudan, documents historique et géographiques, Just rouvier libraire-éditeur, Paris, 1853, p 6.
10. القليعة: هي مدينة صغيرة أنشأت على جبل يسكنها شعابنة الماضي. ينظر:
- L'abbé Barges, Ibid, p 5.
- (11). Ibid, p 7-6.
- (12). Ibid, p 10-11.
13. كنتة: أصل قبيلة كنتة حسب الروايات الشفوية والمصادر المحلية يعود إلى عقبة بن نافع فاتح شمال إفريقيا، بعد وفاته تفرق نسله في مختلف مناطق بلاد المغرب، استقرت قبيلة كنتة بالصحراء بعد أن أصبحت الأوضاع غير ملائمة في المناطق الشمالية خلال القرنين 13م و 14 م ، فارتبط تاريخ كنتة بإقليم توات، ثم انتقلوا بعد ذلك إلى إفريقيا الغربية، عبر الطرق التجارية الصحراوية الرابطة بين توات وإفريقيا الغربية، حيث حملوا معهم لواء الدعوة الإسلامية استقروا بالأزواد. للمزيد ينظر:
- حوتية محمد ، توات والأزواد خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي (دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية)، ج1، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، الجزائر، 2007، ص 66-69.
14. يذكر الرحالة أن طوارق منطقة تنبكتو هم كنتة (Contah)، البرابيش (les Berâbisch)، آقلا (les Agled)، تادماقت (les Tedmagt)، أوليmeden (les Oulimeden) وبننافوني (les Benta-Founy)، تمتد أراضيهم من جنبي إلى زبرام (Zabram) قرب سيقو (Segtou). ينظر:
- L'Abbé Barges, Op.cit, p 10.
- حوتية، توات والأزواد، ج1، المرجع السابق، ص 66.
- (15). L'Abbé Barges, Op.cit, p 11.
- (16). L'Abbé Barges, Op.cit, p 6
- (17). Ibid, p 10.
- (18). Ibid, p 20- 21.
- (19). Ibid, p 11-15.
- (20). Ibid, p 20-21.
- (21). Ibid, p 6.

(22). Ibid, p 11-13.

(23). Ibid, p 11.

(24). Ibid, p 15-16.

(25). Bonnemain, « Voyage à R'ADAMÈS », R.A.C, décembre 1859, , Imp. de CH.LAHURE et C^{IE}, Paris , 1859, p 131.

(26). ولد بوضربة بمرسيليا في 25 جانفي 1823م، من أم فرنسية وأب جزائري مسلم ، انخرط في الجيش الإفريقي في 28 فيفري 1853م، بين عامي 1854-1855م شارك في الحملة الفرنسية على تڤرت (الجنوب القسنطيني) وأصبح مترجما عسكريا. ينظر:

Faucon NARCISSE , Le livre d'or de L'Algérie, T.1, librairie Algérienne et coloniale, Paris, 1889, p 101- 102.

(27). Ibid, p 101- 102.

(28). I.Bouderba, « Voyage à R'at », R.A.C, décembre 1859, , Imp. de CH.LAHURE et C^{IE}, Paris , 1859, p 241-243.

(29). Ibid, p 246, 252.

(30). Ibid, p 254, 261, 264.

(31). Ibid, p 268-270.

(32). Ibid, p 272-273, 277-278.

(33). Ibid, p 280, 282.

(34). Ibid, p 283.

(35). Ibid, p 283-285.

(36). Ibid, p 305.

(37). V.Derregagaix , DERRÉCAGAIX. V, Exploration du Sahara , les deux missions du lieutenant-colonel Flatters, Imp. émile martinet, Paris, 1882, p 6.

(38). I.Bouderba, Op Cit, p 303-304.

(39). Ibid, p 243, 246.

(40). Ibid, p 275.

(41). Ibid, p 250.

(42). Ibid, p 254.

(43). Ibid, p 269, 273.

(44). Ibid, p 272.

(45). Ibid, p 265.

(46). Ibid, p 270-271.

(47). Ibid, p 296-298.

(48). Ibid, p 297.

(49). سعد الله، أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية 1860م-1900م، ج1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، ج1، 2009، ص 185.

⁵⁰ . الحاج البشير: من مواليد 1813-1814م، في واد الرطب (بلاد الشرفة)، على مسافة قليلة من تافيلالت وقد كان من الذين يحبون الأسفار، غادر واد الرطب وعمره سبعة عشرة سنة، فذهب إلى فاس ومنها إلى مكناس واستقر أخيرا ب: تلمسان وتزوج هناك واشتغل لمدة إحدى عشرة سنة كبائع جوال لكسب قوت يومه، لما بلغ عمره ثلاثة وثلاثون سنة ذهب لأداء مناسك الحج ولكون الطريق الصحراوي كان غير آمن، سلك الرحالة طريق وهران ليسافر منها إلى مرسيليا ومنها تم نقله في باخرة إلى

الإسكندرية ومنها إلى مكة، حيث يذكر لنا فليب أنه ألح عليه أن يصف له عادات وتقاليده وحفلات المنطقة التي زارها، مثل مكة لكن الرحالة اكتفى بقوله أن رحلته دامت سنة وأنه عاد إلى تلمسان، بعدها مكث مدة طويلة في قرية الزهرة عند بني سنوس وهم بربر سكنوا جنوب غرب تلمسان على حدود المغرب، من حين لآخر كان الرحالة يقوم برحلة إلى سبدو وفي كل مرة يقص روايات في غاية الدقة فالكمل يعترف له بقوة الذاكرة، حيث قيل عنه أنه لا يتردد في ذكر المسافات التي يقطعها أو في وصف الأماكن، فكان يدهشهم في طريقة عرضه للأحداث والوقائع دون خلط وبترتيب، هنا يقول عنه فليب (Philippe) ما يلي: «كنت أندهش من طريقة نطقه وتلفظه النادر عند الرجل المثقف وكنت اعتقد بأنني أقرأ صفحات مرتبة من يومية مدونات كل مساء»، مع العلم أن هذا الرحالة لم يكن يعرف لا القراءة ولا الكتابة والدليل في ذلك أن الحاج البشير أتى عند فليب الذي أملى عليه رحلته وقال له أنه أتى من واد الرطب وروى له هذه الرحلة التي أسماها " رحلة الحاج البشير إلى تافيلالت سنة 1867م". للمزيد ينظر:

- F.FPhilippe, « Voyage d'El Hadj El Bachir au Tafilala en 1867 », R.A, Vol 55, 1911, p 255-257.

⁵¹ . هو ابن سي حمزة الذي ينتمي إلى أولاد سيدي الشيخ الشراقة.

⁽⁵²⁾ .F.FPhilippe, Ibid, p 260-265.

⁽⁵³⁾ . Ibid, p 270-273.

⁽⁵⁴⁾ .Georges Barry, voyage du Chikh Sidi Mohamed Taieb ben Brahim, naib de l'ordre El-Kadria, d'Ouargla à Ghadamès et à Ghate, , RSAC, XLVIII, 1914, p 256-260.

⁽⁵⁵⁾ .Ibid, p 256 .

⁽⁵⁶⁾ .Ibid, p 258- 259

⁽⁵⁷⁾ . Ibid, p 256.

⁽⁵⁸⁾ . Ibid, p 262.